الاميركيون يغزون انكلترا باموالهم

ليستأثروا بكنوزها الفنية

الفن والحرب — الفن والنهضة — الفن يسير غرباً

بقلم محامي انكليزي

اما وقد عزم الاميركيون ان ينفقوا جانباً من اموالهم لابتياع آياتنا الفنية — فلست تجد قصراً انكليزياً في مأمن من مجاهم المتوالية وقد اصبح الانكليزي الذي يملك صورة من تصوير ريبرن[1] او رُمْني[2] اغنى من شريف يملك صوراً لاسلافه سواء كانوا من آل سسل او آل كافندش[3] . فلماذا نرى الانكليز مقبلين هذا الاقبال على بيع نفائسهم الفنية للاميركيين وهم يعضون الاصابع ندماً وحنقاً لان هؤلاء يباروهم في هذا الميدان

السبب بسيط معقول . لو كنت املك النسخة الخطية لرواية « أليس في بلاد العجائب » تأليف ددجسن وعُرض عليَّ ان ابيعها باربعة عشر الفاً وخمسمائة جنيه لما ترددت مطلقاً في بيعها . او لو كنت املك صورة من صور العذراء تصوير رفائيل وعرض عليَّ ثمناً طائروة ضخمة تساوي ١٧٠ الف جنيه لقبلت في الحال ولو قضي عليَّ ان اخصم من هذا المبلغ كل عمولة السمسرة . ولقد اشعر في الحالين بأسى عميق اصدهُ حسرة على نفائس الفن تخسرها بلادي ولكني اتعزى بان العناية الالهية لم تتركني بعد هذه الخسارة مجرّداً من قوة الدولار العظيم

ولا ادري السبب الذي يحمل بعض صحفنا على النيل من الاميركيين لاقدامهم على شراء هذه الكنوز باموالهم . فقد كنا في الزمن الماضي نُحسب امراء الفن لا تاكنا نجول في ايطاليا نبحث في خزائنها وديرتها عن آيات فنية تحدرت اليها مع الزمن ثم نفوز بها لقاء مبالغ لا تذكر . فلماذا نلوم غيرنا الآن حين يطلب الينا ان نباريه في شراء كنوزنا والاحتفاظ بها فنحجم حين يلزم الاقدام . ها هوذا هودن[4] يصنع لابنته تمثالاً صغيراً لا يزيد علوهُ عن ١٧ بوصة ونصف بوصة على ان نيويورك ترى ان قيمة

(١) ريبرن مصور اسكتلندي (٢) رمني مصور انكليزي (٣) آل سسل وآل كافندش من اسر الانكليز العريقة في الشرف (٤) مثال فرنسوي

هذه « الخافة » تساوي ٤٩ الف جنيه فتدفع الثمن وتفوز بالتمثال . وعندي ان كل رجل مستعدّ لان يبذل هذا المبلغ من المال لهُ الحق في ان يفوز بقطعة من الجمال المجسَّم

لكن منصفين في احكامنا . ماذا دفع لورد الجن[٥] ثمن الاعمدة الرخامية المنتزعة من هيكل البارتنون في أثينا التي نقشها فيدياس ؟ ماذا دفع نوليون ثمناً لمجموعاته النقية المشهورة؟ ومهما يبلغ حنقنا على الدكتور روز نباخ[٦] فيجب الاعتراف بانهُ لم يجردنا من بعض كنوزنا قبل ان يملأ جيوبنا مالاً وقيمة هذا المال في اكثر الاحيان تفوق قيمة الاثر الفني الذي ابتاعهُ

ان الولايات المتحدة تعامل انكلترا الآن كما كانت انكلترا تعامل اوربا في الماضي. انا نفاخر وتبجح احياناً « بصورنا » والحقيقة أن تحت هذه اللفظة نخفي اعجابنا الشديد بالمصورين الايطاليين والاسبانيين والفلمنكيين الذين صوّروها. نفاخر بتحفنا البريطاني! اي متحف على وجه البسيطة اقل تمثيلاً لحضارة الانكليز وثقافتهم من المتحف البريطاني. ونفاخر « بالجاليري الاهلية[٧] » ! هل عرفت ايها القارئ معرضاً فنيًّا اكثر جمعاً لفنون البلدان المختلفة من الجاليري الاهلية او الانكليزية !

كلاَّ ! ان آيات الفن العالي خاصة بالجنس البشري على اطلاقه وليس لامة خاصة او لبلاد معينة ان تحتكرهُ . لذلك لا ادرك معنى لقول بعض الصحف بان الاميركيين يقفون في غرف المزاد صفًّا واحداً يقابلهم صف من الانكليز. فالاميركيون يباهون بعضهم بعضاً في شراء القطع الفنية البديعة في بلادهم ويدفعون اثماناً عالية كما يفعلون بانكلترا. وقد بيعت مجموعة القاضي جاري[٨] فبلغ ثمنها ٤٦٠ الف جنيه وبيعت احدى صورها — صورة عربة الحصاد لغينزبورو[٩] — باثنين وسبعين الف جنيه

فالعامل الفاصل في هذه المزادات انما هو عامل الثمن — الثمن الاعلى سواء دفعهُ انكليزي او اميركيٌّ . والقول بان الاميركيين يفوقون غيرهم في الكلف بابتياع النفائس

(٥) لورد الجن احد سياسة الانكليز كان سفيراً لانكلترا في الاستانة سنة ١٧٩٩ — ١٨٠٤ نقل هذه الاعمدة الى انكلترا ثم دفع الانكليز ثمنها ٣٥ الف جنيه ووضعت في المتحف البريطاني

(٦) اميركي اشتهر بجمع الكتب النادرة

(٧) الجاليري الاهلية — هي معرض الصور المشهور بلندن امام ميدان ترفلغار

(٨) القاضي جاري من اميركا كان رئيساً لشركة الصلب وتوفي في العام الماضي

(٩) غينزبورو مصور انكليزي

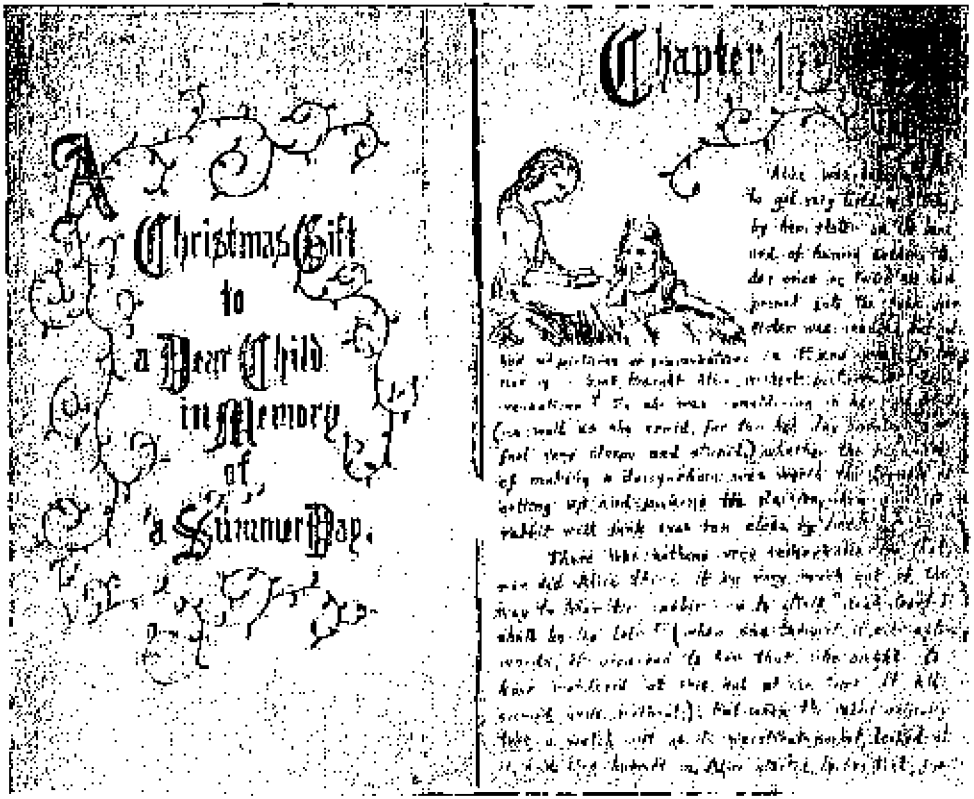

الصفحتان الاوليان من مخطوطة « اليس في بلاد العجائب »

مقتطف اكتوبر ١٩٢٨ — امام الصفحة ١٤٥

الفنية غير صحيح الآن لان كلف اميركا تعداها الى المانيا وهولاندة وجمهوريات اميركا الجنوبية والاثرياء من ابناء هذه البلدان صاروا من اكبر العوامل في توجيه سوق الفنون

واني لا اقدر ظاهرة من ظواهر الثقافة الاميركية مثل هذا التعطش للفوز بابدع آيات الجمال. فالرحالة الاوربي لا يستطيع ان يدرك انفصال البلدان الاميركية وشبهها عن ماضيهم السحيق الحافل بالذكريات الا بعد ما يجول في الولايات المتحدة الاميركية اياماً لا يرى فيها سوى مدن قامت على صدر الغبراء كما يطلع القطر بين ليلة وضحاها. فطمح الاميركي الاعلى الآن انما هو الاستيلاء على ما يصلهُ بذلك الماضي الذي انجب اجدادهُ الكرام. وهو مطمح لا يزال تحقيقهُ في اول عهدهِ

وجلُّ ما يشكو منهُ الانكليز ان الحرب وما جاء في اثرها من ديون اثقلت كواهلهم منعتهم من مباراة الاميركيين في السخاء على شراء التحف والنفائس الفنية

وعندي ان حرباً تنشب في قارة من القارات لا بدَّ ان تجني ثمار الفوز فيها قارَّة اخرى. ولدى التدقيق ارى ان الفن وآثارهُ الجيدة تسير غرباً بعد كل حرب كبيرة. فلما سقطت القسطنطينية في ايدي الترك توزعت آثارها الفنيَّة في كل انحاء اوربا. ولما اشتبكت ايطاليا في اواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر في حروبها الدامية مع نبوليون سبقت اكثر تحفها الى متاحف باريس ولندن

والعناية بالفن تؤيد صحة قول القائلين ان الآثار الفنيَّة يجب ان تجمع في بلاد تحفظها في مأمن من غوائل الحروب. وكما ان علماء الآثار من الاوربيين كشفوا عن كنوز الحضارات القديمة المدفونة في التراب، هكذا ترى ان آيات الفن الاوربي اذا بقيت في اوربا اخفى عليها يوماً ما اخفى على مكتبة لوفان وكاتدرائية ريمس فاذا اراد باحث بعد الف سنة ان يرى ما كانت عليهِ مدنية اوربا في القرن العشرين فعليهِ ان يزور متاحف نيويورك وشيكاغو وغيرها

ولما كانت اوربا قد قرَّرت ان لا مندوحة لها عن الحرب فعليها ان لا تلوم الاميركيين ! تفوز الامم — كما يفوز افراد الرجال — بما يطلقون عليهِ الشأن الاكبر في الحياة. فاذا كانت اوربا تؤثر الذخيرة الحربية على « عذارى » رفائيل واذا كانت اميركا ترفع مقام « العذارى » فوق مقام الذخائر فالنتيجة المعقولة ان تفوز اوربا بذخيرتها الفتاكة واميركا « بعذارى » رفائيل الخالدة !

لما جاء الاميركيون فرسايل لم يطلبوا ارضاً يضمونها ولا غرامة يفوزون بها . انما طلبوا السلام مرفرفاً فوق ربوعهم وفوق ربوع العالم اذا أمكن. فاذا غضب الاوربيون لصور كورو [١٠] وكوردجيو [١١] ورفائيل وتمائيل هودن وروردان [١٢] يستأثر بها الاميركيون فليذكروا انهم آثروا مشكلات دانتزغ وفيومي والرور عليها

ولكن اذا استنطقنا الارقام وجدنا ان الإيحاء على الحرب واثرها في خسارة هذه الآثار الفنية لا يقوم على اساس صحيح . فقد ثبت من احصاء قامت به جمعية المشتغلين بالآثار الفنية القديمة ان قيمة ما ابتاعهُ الاميركيون من انكلترا بعد الهدنة بلغ خمسين مليوناً من الجنيهات اي بمتوسط خمسة ملايين جنيه كل سنة . وهذا يشمل الصور والتماثيل والرياش والمخطوطات وغيرها من آثار الفن . فلو ان كل انكليزي دفع كل سنة ضريبة مقدارها ١١ غرشاً صاغاً لجمعت الامة الانكليزية خمسين مليوناً من الجنيهات اشترت بها هذه النفائس واحتفظت بها في بلادها — في متاحف لندن وليدس ومنشستر وغيرها من المدن الكبيرة

ولكن اذا كانت مدينة سان فرنسسكو مستعدة ان تدفع مائة الف جنيه ثمناً لصورة غينزبورو « الولد الازرق [١٣] » ومدينة شفيلد تؤثر ان تنفق ١٠٠ الف جنيه لاقامة حلبة لسباق الكلاب والخيل فلماذا نلوم ابناء الاولى ونغض الطرف عن ابناء الثانية

كل صاحب ثروة كبيرة يقاس قيمةُ لاثهِ بمقدار النفع الذي يعهد سبيلهُ لابنائها . ففي ولاية داكوتا الشمالية مثلاً ترى رجلاً قد اثرى وبعد اثرائهِ وجّه همهُ لابتياع صورة بشرة آلاف جنيه . تكلفهُ هذه الصورة ٧٠٠ جنيه في السنة تأميناً عليها وفائدة على ثمنها ومن حين الى آخر يرسلها الى معارض الفن فيتمتع الناس بمشاهدتها. الا ترى ايها القارىء ان رجلاً كهذا ينفق مالهُ في عمل يفيد ويسرّ مثل الفتى الذي ينفق عشرة آلاف جنيه لانشاء اسطبلات يربي فيها خيل السباق ؟

كان انتشار درر الفن القديم من القسطنطينية بعد سقوطها بمثابة نثر بذور في تربة خصبة تمت فكانت النهضة الاوربية في القرن الثالث عشر وما يليهِ من ثمارها افلا يكون انتقال النفائس الفنية من اوربا الى اميركا بالبيع مقدمة لنهضة اخرى تساوي النهضة الاوربية وقد تبزّها ! اني ارى ان ذلك كثير الاحتمال. اه «ملخصة بتصرف»

(١٠) كورو مصور فرنسي (١١) كوردجيو مصور ايطالي
(١٢) رودان مثال فرنسوي (١٣) صورة مشهورة لغينزبورو